وقد قنِعَتْ منكَ العصابةُ كلُّها بعُشرِ الذي أعطيْتَهُ لابنِ حَيُّوسِ
وما بينَنا هذا التَّفاوتُ كلُّهُ ولكن سعيدٌ لا يُقاسُ بمنحوسِ

فقال: ولِمَ بعُشرٍ؟ وهلَّا قالوا: بمِثْل. ثم وصلهم وأحسن إليهم.

وقُتِلَ نصر في السنة الآتية.

أبو الفتح منصور بن أحمد[1]

ابن دارست، وزير القائم بأمر الله، كان له مالٌ عظيم، فقيل للقائم: هذا أمين وهو غني النفس. فاستوزره، فلم يكن له دربة بالوزارة، وكان سيئ التدبير.

السنة الثامنة والستون وأربع مئة

فيها في يوم الثلاثاء ثالث المُحرَّم خرج مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد يريد والده، وكان أبوه قد مرض، وخرج معه أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد البيضاوي الشاهد رسولاً من الديوان إلى إبراهيم بن مسعود صاحب غزنة يخبر بوفاةِ القائم وإقامة المقتدي.

وفي يوم الاثنين سابع صفر فُتحت قلعة منبج، وارتُجعت من يد الروم بعد حصار طويل سلَّمها الحافظ لها بأمان إلى نصر بن محمود صاحب حلب، وأعطاه إقطاعاً ومالاً، وكانت مدة بقائها في يد الروم سبع سنين وشهراً، فإنها أُخذت في المُحرَّم سنة إحدى وستين وأربع مئة.

وفي صفر ورد العميد أبو نصر إلى بغداد مطالباً للديوان بمئة ألف دينار من إقطاعه وإقطاع حواشيه، وقال: العساكر كثيرة، وما عند السلطان مالٌ. فلم يُجِبْه الخليفةُ، وأخرج عميد الدولة وظفر الخادم إلى السلطان بهذا السبب، ولم يلتفت العميد إلى مجيء الجواب، بل أدخل يده في الإقطاع، وصرف بُوَّاب الخليفة وولَّاها الأعاجم، وورد سعيد الدولة الكوهراني إلى بغداد بسبب الوزير ابن جَهير، وعزله لأجل نظام الملك، فخرج الوزير إليه فتلقَّاه، فلم يلتفت إليه، ونزل أصحابه في دور الناس،

(١) المنتظم ١٦/ ١٧٠.

وفعلوا كلَّ قبيح، وجاء الحلباشية إلى الديوان، وخرقوا الهيبة، وصالوا وجالوا، وخاف الوزير، وقال: أنا أخرج إلى السلطان وأُبيِّن له كذبَ ما قيل عني، وأذكر سابقَ خدمتي، وبالأمس بعث قاروت بك إلى القائم يبذل له ثلاث مئة ألف دينار ليولِّيه الأمر، فأشرتُ بأن لا يولِّيه خدمة السلطان، ويكون جزائي هذا التهديد، وكان مع سعد الدولة كتاب مختوم إلى الخليفة، وأظهر أن عزل الوزير فيه، فلمَّا فتح الكتاب لم يكن فيه عزله، وإنما كان فيه في بعض الفصول: أيها الوزير، إن أصحابنا العائدين من بغداد يذكرون اتِّفاقك لحوائجهم وإعراضهم، ويجب أن تزول هذه الطريق عن هذه الخلائق، وإلَّا كاتبنا الحضرة الإمامية بالكراهة لك، التي تقتضي الاستبدال بك، والتعويل على من يكون أصحابنا له شاكرين، ولأفعاله حامدين. فندم الوزير على ما بدر منه في معنى قاروت بك، وقال لسعد الدولة: لو أَعلمتَني أن الكتاب يشتمل على ما يتعلق بك لكنتُ جمعتُ من الناس أكثر مما جمعت، لكنَّك أسأتَ التدبير [وفعلتَ ضدَّ الصواب. وطاب قلب الوزير][1] وبعث بالكتاب إلى الخليفة، فطابَتْ نفسُه ونفوسُ الحاشية، ثم جاءت كتب السلطان بعد ذلك بالإفراج عن إقطاع الخليفة والحاشية.

وفي جمادى الأولى ورد رسول أَتْسِز التركماني صاحب الشام ومعه ولد قُتُلْمِش المأسور وأخٌ له صغير، فتسلَّمهما سعد الدولة الكوهراني، وبعث بهما إلى السلطان، وفي هذا الوقت أخذ أَتْسِز رَفنيَّة[2]، ونهب أعمالها، وراسل نصر بن محمود صاحب حلب وقد طمع في شيء من أمواله وأموال أبيه التي خلَّفها، وطالبه بتزويج أخته، وتسليم البلاد، واستقرَّ الأمر على أن بعث له خمسة عشر ألف دينار، وعاد إلى حصار دمشق، فإنه ما زال مضايقاً لها، ونازل طرابلس وصور وأخذهما خفارةً، فكانت الخطبة المصرية بها لم تتغيَّر، والغُزُّ يدخلون إلى صور فيبيعون ويشترون ولا يقيمون فيها، وعلى هذا كانت الهدنة.

وفيها قُتِلَ محمود بن نصر صاحب حلب، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) مابين حاصرتين من (ب).

(٢) رفنية: مدينة من أعمال حمص، وقال قوم: هي بلدة عند طرابلس من سواحل الشام. معجم البلدان ٣/ ٥٥.

وفيها وردت الأخبار بأن بدراً أميرَ الجيوش بمصر لبس الدُّرَّاعة[١] التي برسم الوزارة، حتى لا يترتَّب في الوزارة مَنْ يُفسد عليه الأمور، وخرج إلى الصعيد لقتال السودان واستعادته منهم، فإنهم كانوا قد استولوا عليه.

وفيها ظفر القاضي جلال الملك بن عمار بكتب من بدر الجمالي إلى جماعة من وجوه طرابلس تدني عن موافقة تجري بينهما في القبض على جلال الملك، وتسليم البلد إلى مَنْ بيديه القبض عليه، فقبض عليهم، وصادرهم، وقَتَل منهم، ونَفَى الباقين.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال خلع الخليفةُ على عميد الدولة بن فخر الدولة الخِلَع السنيَّة، وفوَّض إليه الأمور، وكتب له التوقيع، وكانت الجُبَّةُ سقلاطون، وفَرَجيةَ ديباجٍ نسيجٍ بالذهب، وحُمِلَ على فرس بمركب ذهب، بعد أن استدعاه ووالده وخاطبهما بما طيَّب به نفوسهما، وفوَّض إلى عميد الدولة أَزِمَّةَ التدبير، وخرج معهما توقيع الخليفة إلى بيت النُّوبة، وقُرئ بحضرة الأعيان، وكان من إنشاء أبي سعد بن الموصلايا النصراني، وفيه بعد البسملة: إن أمير المؤمنين إذا تصفَّح مواقف خلصاء دولته وأصفيائها المُبرِّزين في المقاصد التي عند الجمال في مطاويها وأبياتها، وجد أوفاها في الكمال زيداً، وأكسبَها في الزمان ثناءً وحمداً، ما اختصَّ به مؤيد الدولة بن فخر الدولة شرف الوزراء أبو نصر صفي أمير المؤمنين من المقامات التي غَبَرَ فيها على من مضى، وأحرز ألقاباً تتنافس فيه من كرم الرضا، وأحلَّته من أمير المؤمين بالمنزلة التي لا يدانيه نظيرٌ في جلالها، ولا طمع أحدٌ قبله في أمثالها، وحين تَفَرَّدْتَ بالآثار التي أصبحَتْ غُرراً في الدهر لامعة، وأحلاماً لأقسام الفخار حاويةً جامعة، والمساعي التي أوجبت بها على الدولة الحقَّ الذي لا يُنكر، وأوجدت منها الطرق إلى لتي اعتمادِك بالمكرمات التي يبقى شرفُها على الأَيّامِ ويُذْكَر، فأدناك من مقرِّ سُدَّته، وناجاك من مزايا الإكرام بما لا يبلغ مداك من خدمته، وذكر كلاماً طويلاً.

وفيها عزم السلطان على أن يُنفذ أخاه تاج الدولة تُتُش إلى الشام، وكان نظام الملك لا يؤثر ذلك، وبلغ أتْسِز الخُوارَزمي صاحب الشام، فكتب إلى السلطان: أنا الخادم الطائع النائب في هذه الأعمال التي أفتَتِحُها بنفسي من غير أن أُكلِّفه فيها مؤونةً، ولا

(١) الدُّرَّاعة: ثوب من صوف، أو: جبة مشقوقة المقدَّم. المعجم الوسيط (درع).

طلبتُ معونةً، وأقمتُ له الدعوة وما أَخْلَيْتُه مما أقدر عليه من حمل الأموال، وقد بلغني ما عليه العزم من إنفاذ الأمير تاج الدولة تُتُش، وما هاهنا من يقتضي استعمال ذلك وإبعادي عن الخدمة ونظري في جملة الأعداء والأضداد، وذكر كلاماً كثيراً هذا معناه. وقال: وأنا بإزاء مَنْ بمصر من خليفة وجند ورجال ودولة وأموال لابُدَّ لمن يقاومها أن يجعل نفسه في عدادها، ويتحمَّل لحمالها، ولمَّا وقف نظام الملك على كتابه بعث إليه بقَباء السلطان وقَلَنْسوته [وفرسه][1] وسيفه وتُرسه تشريفاً له وإكراماً، وطيَّب قلْبَه.

وفيها قبض بدر الجمالي على قاضي الإسكندرية ابن المُحَيْرق وجماعةٍ من صالحيها وفقهائها، وأخذ منهم أموالاً عظيمة.

وفي ذي الحجة وردت كتب أتْسِز على الخليفة بفتوح دمشق صلحاً وتسليمها إليه، وسببه اتِّصالُ الحصار، وغلوُّ الأسعار، وموتُ أهلها، وأن كارة الطعام بلغت نيِّفاً وثمانين ديناراً مغربية، وبقيت على ذلك أربع سنين، والكارتين ونصف غرارة بالشامي، وهذا شيء كثير، الغرارة بمئتي دينار ثمنها ثلاثة آلاف درهم.

وفي ذي الحجة أُعيدت الخطبة، وسببه أنَّ السلار الخراساني قرَّر مع الشريف أبي هاشم أمير مكة أن يزوِّجه أختَ السلطان ملكشاه، فتعلَّق طمعُه بذلك، ومنَّتْه نفسُه الأماني، فقال لبني عمه: إنما كنا نخطب للدولة المصرية لمالٍ يُرجى، أو خوفٍ يُخشى، والآن فلم يبقَ هناك ما نخافه، وليس من الصواب خروجُنا عن دولة السلطان خوفاً على نفوسنا، وينبغي أن نبعث إلى هناك رسولاً يخبرنا بشرح الحال، فإن كانت الأمور على السداد ثَبَتْنا على ما نحن عليه، وكان بنو عمِّنا أحبَّ إلينا وأكرمَ علينا، وإن كان بخلاف ذلك دبَّرنا أحوالَنا. فأنفذوا إلى مصر اثنين من ثقاتهم، وأمروهما أن يظهروا أنهما وردا للإفادة والتماس الصِّلات، واستدعاء المال المحمول كلَّ سنة مع الكسوة، واستجلاب بدر الجمالي لهم، فذهبا وعادا ومعهما رسولٌ من مصر بعشرةِ آلاف دينار ـ وقيل: قيدٌ من ذهبٍ أيضاً مع المال وزنُه ثلاثة آلاف مثقال ليحلف ابن أبي هاشم لصاحب مصر ويُقَيِّدَ نفسَه على عادتهم ـ وكسوةِ البيت دبيقية، وخِلَعٍ لأمير مكة

(١) مابين حاصرتين من (ب).

والعلويين، ونفقةٍ برسوم كانت لهم، وخلا ابنُ أبي هاشم بالرسولين، وسألهما عمَّا شاهداه، فقالا: ما بقيَ هناك ما يُستند إليه، ولا يُعوَّل عليه، والأحوال قد فسدَتْ، والأموال قد ذهبَتْ، والرجال قد قُتلوا، وخلَتِ البلاد. فقال ابنُ أبي هاشم لبني عمه: قد علمتُم الحالَ. وورد عليه كتاب سلار الحاج الخراسانية أنه قد فصل الأمر مع السلطان، والمهر عشرة آلاف دينار، فقال لرسول مصر: السلطانُ قاصدٌ العراق، وأخاف منه، فأجروا الخطبة لكم حتى نُبصر ما يكون. ودفع به، وأخذ المال والخِلَع، وبطل خطبة المصريين، وخطب للمقتدي ولملكشاه.

وفيها خطب أتْسِز للمقتدي على منبر دمشق، وكان بها الأمير وزير الدولة لمَّا هرب مُعلَّى بن حيدرة بن منزو، فاجتمعت المَصامدة[١] على وزير الدولة انتصار بن يحيى، فاختاروه لِحُسن سيرته، فغلَتِ الأسعارُ بدمشق [وأكل الناس الميتات، ووقع بين المصامدة والأحداث][٢]، وكان أتْسِز قد أخرب ظاهرها خراباً كلياً، وضيَّق على أهلها، فراسلهم في الصلح، فاستوثقوا منه بالأيمان، ودخلها في ذي القعدة واستولى عليها، وحلَّ بأهلها منه قوارعُ البلاء، ونزل أصحابُه في دورهم، وأخذوا حريمهم، وصادرهم بحيث لم يُبقِ مع أحدٍ منهم درهماً، واتَّصلت دعوات الناس عليه وعلى أصحابه في المساجد، ثم إنه نظر في عمارة البلاد لا في عمارة دمشق، فأطلق الغِلال للفلاحين، وألزمهم الزراعات، فرخصتِ الأسعار، وطابت نفوس الرعية.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن علي[٣]

ابن محمد بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو الحسين، جلال الدولة، قاضي دمشق، في أيام المستنصر، وهو آخر قضاة المصريين بدمشق، قال يوماً وعنده [أبو][٤] الفتيان بن حَيُّوس: وددتُ أني في الشجاعة

(١) المَصامِدة: قبيلة من المغاربة. تاريخ الإسلام ١٠/ ١٥١ .

(٢) مابين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٧١-٧٢ .

(٤) مابين حاصرتين سقط من الأصل (خ)، واستُدرك من تاريخ الإسلام ١٠/ ٢٥٧ والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٢ ، وغيرهما.

مثلُ جدي علي، وفي السخاء مثل حاتم. فقال له ابنُ حيُّوس: وفي الصدق مثلُ أبي ذر. فخجل الشريف؛ لأنه كان يتزيَّد في كلامه.

توفي بدمشق في ذي القعدة، ودُفِنَ بداره، ثم نُقِلَ إلى الباب الصغير.

أحمد بن منصور[١]

الغسَّاني، أنشد لغيره: [من المنسرح]

أعتقني سوءُ ما صنعت من الرِّقِّ فيا بَرْدَها على كَبِدي
فصِرْتُ عبداً لِلسُّوءِ فيكَ وما أحسن سوءٌ قبلي إلى أحدِ

إسماعيل بن علي[٢]

أبو محمد بن العين زَرْبيّ، الشاعر، سكن دمشق، ومات بها، ومن شعره [من الطويل]:

وحَقِّكمُ ما زُرتُكُمْ في دُجُنَّةٍ من اللَّيلِ تُخفيني كأنِّيَ سارِقُ
ولا زُرْتُ إلَّا والسيوفُ شواهرٌ عليَّ وأطرافُ الرِّماحِ لواحِقُ

وقال: [من المتقارب]

أحِنُّ إلى ساكنات الحجاز وقَدْ حَجزتني أمورٌ ثِقالُ
بكيتُ ففاضَتْ بحورُ الدموعِ كأنَّ لها من جفوني انثيالُ
وظنَّ العواذلُ أني سلوتُ لِفَقدِ البكاءِ وجاروا وقالوا
حقيقٌ حقيقٌ وجدتَ السلوَّ فقلتُ محالٌ محالٌ محالُ

وقال: [من الطويل]

ألا يا حَمامَ الأَيْكِ عَيْشُكَ آهِلٌ وغصنُكَ ميَّاسٌ وإلفُكَ حاضرُ
أتبكي وما امتدَّتْ إليكَ يدُ النَّوى ببينٍ ولم يَذْعَر جناحَكَ ذاعِرُ[٣]

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣١-٣٢.

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٢٦-٢٩.

(٣) الذَّاعر: المخيفُ المُفزِعُ. تاج العروس (ذعر).

محمد بن علي[١]

ابن محمد بن أحمد، أبو علي، الهاشمي، ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الحنبلي، سمع الكثير، وتوفِّي في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حرب، وكان سيداً ثقةً.

مسعود بن المحسن[٢]

ابن الحسن بن عبدالرزاق، أبو جعفر، البياضي، الشاعر، البغدادي، برع في الأدب، وتوفِّي ببغداد في ذي القعدة، ودُفِنَ بباب أبرز، ومن شعره: [من الخفيف]

حبَّذا مسجداً بباب مُعلَّى ... سخنَتْ فيهِ أعينُ القُرَّاءِ
كان للدرسِ والصلاةِ محلًّا ... فهُوَ اليومَ مجمعُ الأهواءِ
كمْ قتيلٍ فيهِ بسهمِ لَحاظٍ ... صرَعَتْهُ من مُقلَةٍ حَوراءِ
وتراني إذا دخلتُ إليهِ ... أتخطَّى مصارعَ الشُّهداءِ

وقال أيضاً: [من الوافر]

إذا هبَّتْ له نسماتُ وَجدٍ ... يعيشُ لمَرِّها ميتَ البعادِ
إذا غنَّى به الحادي ركاباً ... ترنَّحتِ الغواربُ والهوادي
وطابَ السَّيرُ وانقضتِ الفيافي ... وعادت بعد حدْبٍ كالنِّجادِ
أُحِبُّ القُربَ من سُكَّان نجدٍ ... وإن طابوا نفوساً بالبِعادِ
وأُخلِصُ في مودَّتِهم ضميري ... وإن لم يعرِفوا حقَّ الودادِ
وقد أغلقْتُ باب السَّمعِ عن مَنْ ... ينازِلُهُ بألسنةٍ حِدادِ
إذا ركبوا ملامَهُمُ لِعَذْلي ... ركبتُ هوايَ في ذاكَ الجهادِ
وعَزَّ عليَّ أنهمُ صديقٌ ... ألاقي فيهمُ ملقى الأعادي
ولكنَّ الهوى فرسٌ جموحٌ ... يُجاذبني العِنانَ إلى الطِّرادِ

وقال: [من الكامل]

يا مَنْ لبِسْتُ بهَجْرِهِ ثوبَ الضَّنا ... حتى خفيتُ به عن العُوَّادِ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٧٤.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٧٥-١٧٦، الكامل ١٠/ ١٠١-١٠٢. وفي السير ١٨/ ٤٠٩، وبقية المصادر: مسعود بن عبد العزيز.

وأنِسْتُ بالسهرِ الطويلِ فأُنسِيَتْ أجفانُ عيني كيفَ كان رُقادي
إنْ كانَ يوسفُ بالجمالِ مُقطِّعَ الـ أيدي فأنتَ مفتِّتُ الأكبادِ

وقال: [من المديد]

قلتُ للعاذلِ لمَّا جاءني من طريقِ العذْلِ يُبدي ويعيدُ
أيُّها العاذِلُ لي في زعمِهِ لا تُرِدْ نُصحاً لمن ليس يُريدُ
فالذي أنتَ له مُسْتَقبِحٌ ما على إحسانِهِ عندي مَزيدُ
فإذا نحنُ تشاكينا الهوى فاستماعُ العَذْلِ شيءٌ لا يُفيدُ
حبَّذا الليلُ الذي أسهرُهُ في هوى مَنْ هو عن ليلي رَقودُ
ونَعمْ أهلاً بسربال ضنا جسدي يبلى به وهو جديدُ
وهنيئاً لفؤادي أنَّهُ في جهادِ الأعينِ النُّجلِ شهيدُ

وقال: [من الطويل]

لئِنْ كانَ ذاك الوُدُّ كُدِّرَ شُرْبُهُ فحاشى لِذاكَ القلبِ أن يتكدَّرا
فلا تحسبَنَّ الوُدَّ صارَ مُهوَّناً ولا أنَّ معروفَ الهوى صار مُنكَرا
فواللهِ إني ذلك المخلصُ الذي عزيزٌ على الأيَّامِ أن يتغيَّرا
وإنْ تَسْعَ رجلي نحوَ غيرِكَ عن رضا فلا برِحَتْ طولَ الزمانِ تَعثَّرا
وإنْ نظرَتْ عيني إليهِ بلذَّةٍ فلا صافَحَتْ أجفانُها لذَّةَ الكَرى

وكتب إلى القائم بأمر الله وكان قد استكتب أهل الذمَّة، وضمَّن ابن فضلان اليهودي ضياعه، وفتك في المسلمين: [من الكامل]

يا ابنَ الخلائفِ من قريشٍ والذي طهُرَتْ أصولُهمُ من الأدناسِ
قلَّدْتَ أمرَ المسلمين عدوَّهُمْ ما هكذا فعلَتْ بنو العباسِ
حاشاكَ من قولِ الرعيةِ إنَّهُ ناسٍ لقاءَ اللهِ أو مُتناسِ
ما العذرُ إنْ قالوا غداً هذا الذي ولَّى اليهودَ على رقابِ الناسِ
أتقولُ كانوا وفَّروا أموالنا فبُيوتُها قفرٌ بلا إيناسِ
لا تذكُرَنْ إحصاءَهم ما وفَّروا ظلماً وتنسى مُحصيَ الأنفاسِ
وخَفِ الجزاءَ غداً إذا وُفِّيتَ ما كسبَتْ يداكَ اليومَ بالقِسْطاسِ

في موقفٍ ما فيه إلَّا شاخِصٌ ... أو مُهطِعٌ أو مُقنِعٌ بالراسِ
أعضاؤهم فيهِ الشهودُ وسجنُهُمْ ... نارٌ وحاكمهم شديدُ الباسِ
إن تَمطُلِ اليومَ الدُّيونَ مع الغنى ... فغداً تُوفِّيها مع الإفلاسِ
لا تعتذِرْ عن صرفِهمْ بتعذُّر الـ ... ـمُتصرِّفين الحُذَّقِ الأكياسِ
ما كنتَ تفعلُ بعدَهُم إن أُهلِكوا ... فافعَلْ وعُدَّ القومَ في الأرماسِ

وقال أيضاً: [من البسيط]

قُلْ للذين جفَوني إذْ لَهجْتُ بهمْ ... وصارَ ذِكرهُمُ يجري مع النَّفَسِ
صُدُّوا وأرضُوا مُحِبَّكُمْ إذا دَرسَتْ ... آثارُ قريٍ جديدٍ غيرِ مُندَرِسِ
ماذا يضرُّكمُ أنِّي أُحِبُّكمُ ... مع البراءةِ من عيبٍ ومن دَنَسِ
إنْ كنتُ أذكُرُ شيئاً غيرَ حُبِّكُمُ ... يا سادتي فرماني اللهُ بالخَرَسِ

وقال: [من الكامل]

إن كنتُ بعدَكُمُ ألِفْتُ هجوعا ... فحُرِمْتُ سُؤْلي في اللقاءِ سريعا
أو ذُقْتُ حلواً غيرَ ذِكْرِكُمُ فلا ... صدقَتْ مُنايَ أن نعودَ جميعا
للهِ ما صنع الفِراقُ ندامةً ... ما انفَكَّ سِنِّي بعدها مقروعا
لو قلتَ سَلْ صارَتْ جميعُ جوارحي ... في الحالِ ألسنةً تقولُ رجوعا

وقال: [من البسيط]

لولا الخدودُ ولولا الأعينُ النُّجُلُ ... ما تَمَّ قولٌ لإبليسٍ ولا عمَلُ
إنَّ العيونَ إذا استمكَنَّ من رجلٍ ... فعَلْنَ في القلبِ ما لا يفعَلُ الأَسَلُ[1]
ليسَ الهُمامُ الذي يحمي مَطيَّتَهُ ... يومَ النِّزالِ ونارُ الحربِ تشتعلُ
لكنَّ مَنْ غضَّ طَرْفاً أو ثنى بصراً ... عن الحرامِ فذاكَ الفارسُ البطلُ

وقال أيضاً: [من البسيط]

يا ليلتيَّ بذاكَ الشيحِ والضَّالِ ... ومنبتِ البانِ من نُعمانَ عُودا لي
ويا مراتعَ أترابي بذي سَلَمٍ ... لهفي على ما مضى من عصرِكِ الخالي

(١) الأسَل: نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف. المعجم الوسيط (أسل).

قدْ كانَ قلبي بكُم مأوى السرورِ فَمُذْ ... نأيتُمُ صار مأوى كلِّ بَلبالي[1]
فلو شَرَيْتُ بعمري ساعةً سَلَفَتْ ... من عيشتي معكُمْ ما كانَ بالغالي
ما لي أُعلِّلُ نفسي بالوقوفِ على ... منازلٍ أقفرَتْ منكمْ وأطلالِ
قد بُدِّلتْ صامتاً من ناطقٍ لَسِنٍ ... ونافرٍ عاطلاً[2] من أُنسِكُمْ حالي
أُميتُ من حرِّ أنفاسي خمائِلَها ... طوراً وأَبكي فأُحييها بتَهمالي
وأبتغي من رسومٍ قد دَرَسْنَ بها ... رجْعَ الكلامِ وما يُبْهِمْنَ تسآلي
أأرتجي البُرءَ منها وهْيَ باليةٌ ... هيهاتَ كيفَ يُداوي بالياً بالي
مَنْ لي بكتمانِ ما ألقاهُ من ألمٍ ... وظاهري مُعْرِبٌ عن باطنِ الحالِ
قالوا تشاغلَ عنَّا واصطفى بدلاً ... منا وذلك فِعْلُ الخائنِ السالي[3]
وكيفَ أُشغِلُ قلبي عن محبَّتكُمْ ... وغيرِ ذِكركمُ يا كُلَّ أشغالي
لِيهْنَ قومٌ أطاعوا في عواذِلهم ... إنِّي على العهدِ في عصيانِ عُذَّالي

وقال أيضاً: [من الكامل]

قد حانَ من سفرِ الصُّدودِ قدومُ ... فإلى متى هذا الصُّدودُ يدومُ
لم يبقَ منِّي ما يبينُ لناظرٍ ... إلَّا ثيابٌ تحتهنَّ رسومُ
لو أنها ظهرت لأَقصرَ عاذلي ... ولَقالَ كيف يُخاطَبُ المعدومُ
إنَّ الذي يَهوَى ظلومَ وينتهي ... عنها بعَذْلٍ إنَّهُ لَظَلومُ[4]
ما لامَ فيها عاذلٌ فبدَتْ لَهُ ... عمداً فأبصرَها يكادُ يلومُ

وقال: [من الطويل]

أبثُّهُمُ وجدي وهُمْ بيَ أعلمُ ... وأرجو شفائي منهمُ وهمُ هُمُ
وكَمْ عذلوني فيهمُ غيرَ مرَّةٍ ... فقلتُ لهم واللهُ بالصِّدقِ أعلمُ
وجدتُمْ ولكنِّي وجدتُ عليكُمُ ... لأنَّكُمُ ما جُدْتُمُ إذْ وجدتُمُ

---

(١) البلبال: شدة الهم. المعجم الوسيط (بلبل).
(٢) في (ب): عاطراً.
(٣) السالي: النَّاسي، من السُّلُوّ.
(٤) في النسخة الوحيدة (خ): عذوله لمظلوم. ولم يستقِمْ لي وزنُه ولا معناه، ولعل الصوابَ ما استظهرتُه.

إذا كانَ قلبي موثَقاً في حبالكمْ وجسمي لديكُمْ كيفَ أفهَمُ عنكمُ
فإنْ شئتمُ أنْ تعذِلوا فترفَّقوا إلى أنْ يعودَ القلبُ ثمَّ تكلَّموا

وكتب إلى القائم بأمر الله: [من الوافر]

أميرُ المؤمنين نداءُ عبدٍ يراكَ الصِّرفَ صرفَ الدَّهرِ أهلا
فلي في الأرضِ مُتَّسَعٌ وقومٌ ألاقي عندهُمْ أهلاً وسهلا
ولستُ بضارعٍ إلَّا إليكُمْ فأمَّا غيرُكمْ حاشا وكلَّا
وهذا شرحُ حالي فاسمَعَنْهُ فقد أنهيتُهُ والأمرُ أعلى

وقال: [من الطويل]

ألفتُ الضَّنا من بعدكُمْ فَلَوَ انَّهُ يُغَيَّبُ عن جسميَ جئتُ إليهِ
وصارَ البُكا لي مؤنساً فَلَوَ انَّهُ تباعدَ عن عيني بَكيتُ عليهِ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

ليسَ لي صاحبٌ مُعينٌ سوى اللَّيـ ـلِ إذا طال بالصُّدودِ عَلَيَّا
أنا أشكو همَّ الحبيبِ إليهِ وهو يشكو بُعْدَ الصَّباحِ إليَّا

ناصر [بن محمد] بن علي[1]

أبو منصور، التركي، والد محمد بن ناصر، ولد سنة تسع وثلاثين وأربع مئة، وقرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث الكثير، وقرأ الأدب واللغة، وتُوفِّي ببغداد في ذي القعدة شاباً لم يبلغ ثلاثين سنة، وكان صالحاً ثقةً، ورثاه أبو عبد الله الحسين بن محمد البارع بقصيدة طويلة أولها: [من المتقارب]

سلامٌ وأنَّى يردُّ السَّلاما معاشرُ في التُّربِ أمسَوا رِماما
لدى البيضِ صرعى كأنَّ الحِمام سقاهُمْ بكأسِ المنايا مُداما
أأحبابَنا في بطونِ الثرى مقيلٌ لكم إن أردتُم مُقاما
تبدَّلتُمُ بالقصورِ القبور فأبلَيْنَ تلكَ الوجوهَ الوساما

(١) المنتظم ١٦/ ١٧٦-١٧٨ . ومابين حاصرتين سقط من (خ).

ألا هل أرى لكمُ أوبةً ... وللشَّملِ بعد الفراقِ التئاما
أرى كلَّ يومٍ مطايا المنون ... تحفُّ بكم موحداً أو تؤاما
نُحيِّي ضرائِحَكُمْ إنَّها ... تَضَمَّنَّ قوماً علينا كراما
سلامٌ على جدَثٍ بالعرا ... قِ أغمدتُ بالأمسِ فيهِ حُساما
دفنتُ العُلا والتُّقى والعفا ... فَ والحلمَ والعلمَ فيه حماما
أناصرُ يفديكَ مَنْ لَوْ أطا ... قَ دافعَ عنكَ المنايا وحامى
أناصرُ لو أنَّ لي ناصراً ... شننتُ[1] [على][2] الموت موتاً زؤاما[3]
هو الدَّهرُ لا يُتقَّى ضيمُهُ ... [لشيءٍ][4] فأجدَرُ أنْ لا يُضاما
أُناديكَ إذ لاتَ حين الدُّعاء ... بمُسْمعةٍ لو أطَقْتَ الكلاما
لقدْ خصَّني يا قرينَ الشَّبا ... بِ فيكَ المُصابُ وعَمَّ الأناما
وأوجدني منكَ ريبُ المنو ... نِ ظمآنَ لم أشفِ منك الأُواما[5]
وكيف يطيرُ قصيصُ الجنا ... حِ خانَتْهُ عند النهوضِ القُدامى
وأُطفِئُ بالدمعِ نارَ الحشا ... و يأبى لها الوجدُ إلَّا ضِراما
وكنتُ أُلامُ على أدمعي ... فأيقنتُ بعدكَ أن لا أُلاما
فلا استشعرَ القلبُ عنكَ السُّلُوَّ ... ولا ازدادَ بعدَكَ إلَّا هُياما
إذا رامَ صبراً تمثَّلْتَ فيهِ ... فأقصى خَيالُكَ ذاك المَراما
وما أنا من بعد علم اليقين ... أحسَبُ يومَكَ إلَّا مناما
لقد كنتَ غُرَّةَ وجهِ الزَّمان ... فقد عادَ من بعد[6] بِشْرٍ جَهاما
وكنتَ على تاجِهِ دُرَّةً ... تُضيءُ الدُّجى وتُزين النِّظاما
فأضحى بكَ الدهرُ مستأثراً ... وجلَّلَنا بعد نورٍ ظلاما

(١) في المنتظم: صببتُ.
(٢) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم.
(٣) الزُّؤام: العاجل. المعجم الوسيط (زأم).
(٤) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم.
(٥) الأُوام: حرارة العطش. المعجم الوسيط (آمَ).
(٦) في المنتظم: عاد.

وضَنَّ بكَ الدهرُ عن أهلِهِ ... فثُبْتَ[١] حميداً ولم تلقَ ذاما
وأيقنتَ أنَّ الدُّنا للفنا ... ءِ فاعتضْتَ في الخُلدِ عيشاً دواما
لتَبْكِ عليكَ فنونُ العلوم ... فقد كنتَ في كلِّ فنٍّ إماما
وما كنتَ إلَّا قريعَ الزمان ... والناسُ بعدَكَ إلَّا سواما
ألا لا أرى مشكلاتِ الأمور ... يَزْدَدْنَ بعدَكَ إلا انعجاما[٢]
فمَنْ ذا يُفرِّجُ عنَّا الهمو ... مَ إذا ازدحمَتْ في الصُّدورِ ازدحاما
ومَنْ للمجالسِ صدرٌ سِواكَ ... إذا اضطربت أبحُرُ العلمِ عاما
ومَنْ للمحاريبِ أهلٌ سِواكَ ... وقدماً تقدَّمتَ فيها غلاما

وقال أيضاً[٣]:

تجاوزتَ في العلم حدَّ الشيوخ ... وكلُّ سِنيكَ ثلاثون عاما
ولم [أرَ][٤] كاليومِ بدراً سوا ... كَ عاجلَ فيه السَّرارُ[٥] التماما
فحاشا لساناً تلا ما تلو ... تَ يُصبحُ للدُّودِ يوماً طعاما
وهوَّنَ وجدي أنِّي غداً ... كما قد لقيتَ ألاقي[٦] حماما
وأن سوفَ يجمعُنا موقفٌ ... ترى الخلقَ في حافَتيهِ قياما
عليكَ السلامُ فإني امرؤٌ ... على القُربِ والبُعد أُهدي السَّلاما

السنة التاسعة والستون وأربع مئة

فيها في صفر غلب على المدينة محيط العلوي، وأعاد خطبة المصريين، وطرد منها الحسين مهنا أميرَها، فقصد خراسان إلى ملكشاه ونظام الملك، وكان قد أساء السيرة، ووضع على الواردين لزيارة قبر النبي ﷺ أتاوةً، فقامت الشَّناعة، واجتمعت القبائل مع محيط بهذا السبب.

(١) في (ب): فمُتَّ وفي المنتظم: فنِلْتَ.
(٢) في المنتظم: انقحاما.
(٣) هذه العبارة من الأصل (خ)، وكأنها مقحمة؛ لأن ما بعدها هو تتمة للقصيدة، وهي ليست في المنتظم.
(٤) مابين حاصرتين من المنتظم.
(٥) السَّرار: آخر ليلة في الشهر. المعجم الوسيط (سرر).
(٦) في المنتظم: مُلاقٍ.